

روح المعاني

فحالة يكونون فيها عميا وحاله يكونون فيها زرقا وعن الفراء المراد من زرقا عميا لأن العين إذا ذهب نورها ازرق ناظرها ووجه الجمع عليه طاهر وعن الأزهرى المراد عطاشا لأن العطش الشديد يغير سواد العين فيجعله كالأزرق وقيل : يجعله أبيض وجاء الأزرق بمعنى الأبيض ومنه سنان ازرق وقوله : .
فلما وردنا الماء زرقا جمامه .

ويلائم تفسيره بعطاشا قوله تعالى على ما سمعت ونحشر المجرمين إلى جهنم وردا .
يتخافتون بينهم أي يخضون أصواتهم ويخفونها لشدة هول المطلع والجملة استئناف لبيان ما يأتون وما يذرون حينئذ أو حال أخرى من المجرمين وقوله تعالى : إن لبئتم بتقدير قول وقع حالا من ضمير يتخافتون أي قائلين ما لبئتم في القبور إلا عشرا .
103 .

- أي عشر ليال أو عشرة أيام ولعله أوفق بقول الأمل .
والمذكر إذا حذف وأبقى عدده قد لا يؤتى بالتاء حكى الكسائي صمنا من الشهر خمسا ومنه ماجاء في الحديث ثم أتبعه بست من شوال فان المراد ستة أيام وحسن الحذف هنا كون ذلك فاصلة ومرادهم من هذا القول استقصار المدة وسرعة انقضائها والتنديم على ما كانوا يزعمون حيث تبين الأمر على خلاف ما كانوا عليه من إنكار البعث وعده من قبيل المحالات كأنهم قالوا : قد بعثتم وما لبئتم في القبر إلا مدة يسيرة وقد كنتم تزعمون انكم لن تقوموا منه ابدا وعن قتادة انهم عنوا لبئتم في الدنيا وقالوا ذلك استقصارا لمدة لبئتم فيها لزوالها ولاستطالتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وأيقنوا أنهم استحقوها على إضاعة الايام في قضاء الاوطار واتباع الشهوات وتعقب بانهم في شغل شاغل عن تذكر ذلك فالأوفق بحالهم ما تقدم وبان قوله تعالى : لقد لبئتم في كتاب الله إلى يوم البعث صريح في أنه اللبث في القبور وفيه بحث .

وفي مجمع البيان عن ابن عباس وقتادة انهم عنوا لبئتم بين النفختين يلبثون اربعين سنة مرفوعا عنهم العذاب نحن أعلم بما يقولون أي بالذي يقولونه وهو مدة لبئتم إذ يقول امثلهم طريقة أي اعدلهم رأيا وأرجحهم عقلا و إذ طرف يقولون إن لبئتم إلا يوما .
104 .

- واحدا واليه ينتهى العدد في القلة .
وقيل : المراد باليوم مطلق الوقت وتنكيره للتقليل والتحقير فالمراد إلا زمنا قليلا

وظاهر المقابلة بالعشر يبعده ونسبة هذا القول إلى امثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب إلى الصدق بل لكونه اعظم في التنديد أو لكونه ادل على شدة الهول وهذا يدل على كون قائله أعلم بفضاعة الأمر وشدة العذاب .

ويسألونك عن الجبال السائلون منكرو البعث من قريش على ما أخرجه ابن المنذر عن ابن جريج قالوا على سبيل الاستهزاء كيف يفعل ربك بالجبال يوم القيامة وقيل : جماعة من ثقيف وقيل : أناس من المؤمنين فقل ينسفها ربي نسفا .

. 105

- يجعلها سبحانه كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفناء للمسارعة إلى إزالة ما في ذهن السائل من بقاء الجبال بناء على ظن أن ذلك من توابع عدم الحشر إلا ترى أن منكري الحشر يقولون بعدم تبدل هذا النظام المشاهد في الأرض والسماوات أو للمسارعة إلى تحقيق الحق حفظا من أن يتوهم ما يقضى بفساد الاعتقاد .

وهذا مبني على أن السائل من المؤمنين والأول على أنه من منكري البعث ومن هنا قال الإمام : إن مقصود السائلين الطعن في الحشر والنشر فلا جرم أمر صلى الله عليه وسلم بالجواب مقرونا بحرف التعقيب لأن تأخير البيان في